جهود الميزابيين في التأليف ونشر الكتب قديما وحديثا

الباحث الحاج أحمد بن حمو كروم
مؤسسة الشيخ عمي سعيد للدراسات الشرعية
غرداية ــ الجزائر

يُعتبر التأليف في حياة الأمم والشعوب عنوان حضارتها... ولعل انطلاق الكتاب الإسلامي من المسجد سر بقائه وتواصله عبر القرون والأجيال.. وإرجاعه إلى المسجد هو سبب تطوره ونمائه في هذا العصر الذي اشتغل الناس فيه بالأقراص والحاسوب من مختلف الأحجام والإنترنت ورسائل الجوال حتى غدا من يشتغل بالكتاب متخلفا.. ولكن هيهات أن تستغني هذه الوسائل نفسها عن الكتاب وأهله لأنها تساهم في صناعة الكتاب وأهله.

المطلب الأول: تعريف الكتاب

لغة: الكتاب هو الجلد الرقيق المكتوب سواء كان صفحة واحدة أو عدة صفحات ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾(النمل:29).. والكتاب اسم كتب بمعنى خط حروفا على صحيفة من جلد أو حجر أو سعف ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾﴾(الطور:1-3). واكتتب بمعنى سأل فلانا أن يكتب له كتابا في حاجة.. ولها معنى استملاه أي طلب منه إملاءه في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا [1] فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾(الفرقان:5)

اصطلاحاً: الكتاب هو مجموعة أوراق مثبتة أو متفرقة تعالج موضوعا معينا أو مواضيع مختلفة.. ويطلق الكتاب على التوراة والقرآن أيضا: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى

ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٢﴾ (الإسراء:2). ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى:52).

ولقد أطلق على الكتاب أيضا أسماء أخرى منها:

مؤلَّف – ديوان – مدونة – صحيفة – رسالة – جواب – رد على...

ومهما يكن من اسم لغوي يطلق على الكتاب فإنه لا محالة عبارة عن وعاء للمعرفة والاطلاع على بنات أفكار الآخرين من العلماء والأدباء والمثقفين والفقهاء والمحدثين والأصوليين وغيرهم من رجال الفكر الإنساني عبر القرون الخالية والأيام الحاضرة.

المطلب الثاني: الكتاب في الحضارة الإنسانية

لاشك أن الكتاب بدأ في فجر الحضارة الإنسانية مع اللغة والكتابة.. والكتابة كانت تتخذ لها وسائل مختلفة كالنقش فوق الحجر وسعف النخل والألواح ثم استعمل الجلد أيضا إلى أن وصل الورق والحبر قبل ألف عام من الصين إلى بلاد الإسلام فأصبح ذلك تطورا جديدا أحدث ثورة عميقة في عالم المعرفة والثقافة، وأصبح حرفة يعرف أصحابها بالنسّاخ والوراقين وهم الذين يشتغلون بنسخ الكتب وتجليدها وترميمها وزخرفتها، تباع في أسواق خاصة.

وصنفت المكتبات العالمية لبعض المفكرين في العالم نذكر منها:

1- مكتبة في وادي الفرات يرجع تاريخها إلى حوالي سنة 2700 ق.م ذات 30000 وثيقة منقوشة على ألواح من الصلصال. ووجدت مكتبة أخرى لرمسيس الثاني في مصر، كما وجدت مكتبة في هيكل سليمان ببيت المقدس.. ومكتبة بطليموس بالإسكندرية[2] حوالي 300 ق.م وهي تحوي آلاف الكتب في مختلف الفنون العلمية آنذاك.

ولما اكتشفت المطبعة في ألمانيا وهولندا على يد قوتنبورغ بعد سنة 1450م انتشر فن الطباعة بأوربا بشكل سريع فسهل عملية توفير الكتاب للعلماء والباحثين مما ساهم في ثورة فكرية عالمية عبر الشرق والغرب[3]..

المطلب الثالث: مسيرة الكتاب في الإسلام:

وبلاد الإسلام كباقي البلدان في الأرض اجتهدت في نشر العلم لأن أول آية نزلت على سيدنا محمد ρ هي بداية سورة العلق ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾(العلق:1-4)

القراءة تقتضي الكتابة.. والكتابة تفيد معنى التأليف والبحث.. وأول نص اعتنى المسلمون بتدارسه وحفظه هو النص القرآني الذي نزل مفرقا على الرسول ρ فكتبه الصحابة ثم جمعوه ثم حفظوه في صدورهم بعد أن أتقنوا تلاوته، وقد سماه تعالى «كتاب» في أكثر من آية من وحيه فقال: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ۝٨٩﴾ (النحل :89) . وقال أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ۝٢﴾(الجمعة :2) . وكان الرسول ρ ينهى عن كتابة نص آخر غير القرآن الكريم في عهده إلا ما كان نادرا من بعض الرسائل الإدارية مثل: رسائل دعوة الملوك إلى الإسلام وصلح الحديبية ومعاهدات الرسول (ص) بين طوائف المدينة المنورة غداة الهجرة وهم الأوس والخزرج والمهاجرين والأنصار واليهود. فقال ρ «**لا تكتبوا عنّي؛ من كتب عنّي غير القرآن فليمحه**» [مسلم] حتى لا يختلط كلام الله بكلام غيره، ثم أباح الكتابة لمن طلبها استثناء لمن لا يحفظ من الصحابة مثل أبي شاه اليمني فقال: «**أكتبوا لأبي شاه**» [أحمد]، فلما تنور الناس بالعلم صدرت كتابات مختلفة تخدم القرآن الكريم في عصر الصحابة إلى أن صدر الأمر السلطاني بكتابة الحديث في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله (ت 101هـ).

وكان من بين الكتب الأولى موطأ الإمام مالك الذي ألفه بطلب من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ثم تتابع التأليف في الحديث وغيره بين العلماء وخاصة لما أنشأت بيت الحكمة في بغداد زمن هارون الرشيد فنشطت حركة الترجمة لكتب الأقدمين في مختلف العلوم..

المكتبات: فتنافس العلماء والأمراء في جمع الكتب في خزائن ومكتبات قيمة تحدث عنها المؤرخون نذكر منها:

1- مكتبة بيت الحكمة في بغداد (ق2هـ)

2- مكتبة دار الحكمة في القاهرة (ق 4هـ) تحتوي على مائة ألف كتاب في زمن الحاكم بأمر الله.

3- مكتبة العزيز بالقاهرة أقامها العزيز بالله، تحتوي على مليون وستمائة ألف مجلد.

4- مكتبة قرطبة في عهد الحكم المستنصر (ق4هـ) وكانت تحتوي على[4] 400 ألف مجلد فتوزعت هذه المكتبات بين المساجد والمدارس وأوقاف العلماء والوزراء والأغنياء في مختلف عواصم البلدان الإسلامية.

المطابع: وعندما ظهرت الطباعة في الأستانة بتركيا ومصر في ق 18م سهل على الناس اقتناء الكتب وتأليفها وطباعتها وتوفيرها في المكتبات والأسواق بمختلف الأشكال والأحجام، نذكر منها: أول كتاب طبع في تركيا هو كتاب «الصحاح» للجوهري الذي ترجم إلى اللغة التركية في العقد الثاني من ق 18م ثم تاريخ الحاج خليفة «تحفة الكبار في أسفار الأبحار» سنة 1728م.. وأول كتاب طبع في مطبعة القديس جورجيوس ببيروت سنة 1751م.. أما في مصر فكان أول كتاب طبع في مطبعة بولاق هو «قاموس إيطالي عربي» سنة[5] 1822، ثم توالت طباعة الكتب في البلاد الإسلامية بعد اقتناء المطابع الأهلية والمطابع العامة.

المطلب الرابع: التأليف في المذهب الإباضي وحركاته المباركة:

الكتاب في المذهب الإباضي أخذ موقعا عاليا في الحياة العلمية فتنافس العلماء في تأليف الكتب في مختلف تخصصاتهم العلمية منذ القرن الأول الهجري وذلك عندما بادر مؤسس المذهب الإباضي الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني رحمه الله إلى تأليف ديوانه المشهور الذي كانت تتنافس الحواضر العلمية في اقتنائه وهو يحتوي على كل ما رواه عن الصحابة الأجلاء من الفقه والحديث والتفسير والتاريخ.. وكان حجمه سبعة أحمال[6]..

وقد نسخه نفاث بن نصر من مكتبة الخليفة العباسي ببغداد في النصف الأول من ق 3 هـ. ولما وصل به إلى طرابلس بليبيا طمسه ثم طمست النسخة الأصلية نهائيا يوم سقوط بغداد سنة 656هـ وتوجد أجزاء منه في كتاب الديوان المعروض الذي توجد منه نسخة في مكتبة الشيخ صالح لعلي[7] تجمع أقوال قتادة، كتاب الصلاة وكتاب النكاح للإمام جابر بن زيد وكتاب نكاح الشغار لابن عبد العزيز، وكتاب أبي عبيدة في الزكاة، وكتاب الصيام، وكتاب العمال، وكتاب الممتنعين من الحدود من العمال[8].. ثم رسائل جابر[9] ثم يأتي بعد ذلك كتاب مسند الربيع بن حبيب في الحديث ثم آثار الربيع وفتاويه.. في القرن 2هـ..

ثم مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخرساني في ق 2هـ وكذا سيرة وتاريخ أبي سفيان محبوب بن الرحيل العماني ق 2هـ.

وعندما جاء ق 3هـ ظهرت مسائل نفوسة للإمام عبد الوهاب وابنه الإمام أفلح في القرن 3هـ، وتفسير الشيخ هود بن الحكم الهواري وظهر كتاب الجامع لمحمد بن جعفر أبي جابر الأزكوي العماني.. وكتاب أصول الدينونة الصافية للشيخ عمروس بن فتح المساكني النفوسي (ت263هـ).

وعندما استهل القرن 4هـ برز إلى الميدان كتاب الجامع للشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن بركة العماني.. ومن الكتب المهمة في ق 5 هـ كتاب الدلائل والحجج للحضرمي.. وكتاب الضياء للعوبتي (سلمة بن مسلم). في الفقه: وكتاب تفسير خمسمائة آية للشيخ أبي المؤثر الصلت بن خميس.. وكتاب الوضع للشيخ أبي زكرياء يحي الجناوني.. وكتاب التحف المخزونة للشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي في العقيدة.. وكتاب موسوعة ديوان الأشياخ في الفقه وهو 24 جزءا، وكتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكرياء الوارجلاني في التاريخ.

وعندما أطل فجر القرن 6هـ ألف أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي كتاب القسمة وأصول الأراضي في الهندسة والعمران.. وكتاب أبي مسألة في الفقه، كما ألف أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، وكتاب الدليل والبرهان في العقيدة، وكتاب التفسير المفقود، كما ألف الشيخ أبو عمار عبد الكافي بن

أبي يعقوب التناوتي كتاب الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف في علم الكلام.

وأما في القرن 7هـ فقد برزت عقيدة العزَّابة للشيخ عمرو بن جميع.. وكتاب أجوبة بن خلفون، وكتاب طبقات المشايخ بالمغرب للشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني في التاريخ..

اهتمام الإباضية بجمع الكتب:

ويشيد المؤرخون باهتمام الإباضية بنسخ الكتب ومطالعتها واقتنائها بين الشرق والغرب.

1- يقول أبو العباس الدرجيني: «**وبلغنا أن الإمام عبد الوهاب بعث ألف دينار إلى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتبا فاقتضى نظرهم أن يشتروها ورقا، وتطوعوا بالمداد وأجرة النساخ والمسفرين حتى أكملوا ديوانا عظيما فبعثوا به إليه، فشق جميع الديوان فقال: «الحمد لله إذ ليس فيه مسألة عزبت عني إلا مسألتان، ولو سئلت عنهما لأجبت قياسا على نظائرهما ووافقت الصواب»**[10].

2- يقول البرادي في رسالة تآليف الإباضية: «**وذكر عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد العاصمي اللواتي أنه لقي سليمان بن مدرار النفوسي وقد قدم من قلعة حماد. فأخبره أنه ترك في سوق القلعة كتابا في تفسير القرآن من تأليف الإمام عبد الرحمن ينادى عليه للبيع فسافر إليه ذلك الشيخ من حينه فلما وصلها جعل يسأل عن الكتاب برفق وتلطف في السير فلقي رجلا نكاريا يدعي علم الفروع فقال له: طب نفسا عن فواته، فقد بيع قبل قدومك**»[11].

3- وذكر الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ سعيد في كتابه عن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر قال: «**كنت أقرأ على الشيخ سعيد وأحضر مجالسه فأول ما وقفت فيه المذاكرة عنده ذبيحة الأقلف هل تؤكل أم لا؟ فقال في المسألة قولان، ولم يزد على ذلك شيئا. قال أبو العباس: وكان الديوان في نفوسة مشتملا على تصانيف في المذهب فلازمت الدراسة أربعة أشهر لم أذق فيها نوما إلا فيما بين آذان الصبح إلى طلوع الفجر، فنظرت في أثناء ذلك فيما هناك من كتب المذهب التي وصلت من المشرق**

فإذا نحو من ثلاثة وثلاثين ألف جزء. فتخيرت أكثرها فائدة فقرأته حينئذ»[12].

4- وذكر أن عبيد الله الشيعي وجد صومعة مملوءة كتبا وهي مشتملة على ديوان تاهرت الذي يذكره العزابة، فانتقى منه ما انتقى وأحرق الباقي، فلم يبق شيء من الديوان أثر أصلا[13].

5- استودع الشيخ أبو غانم بشر بن غانم الخرساني مدونته عند الشيخ عمروس بن فتح المساكني وهو حدث السن فاستأذنه في نسخ المدونة فرفض المؤلف ذلك، فعندما واصل بشر الطريق نحو تاهرت لزيارة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن عكف على نسخها مع أخته التي تملي عليه حتى أكمله ورده في مكانه، فلما وجد أبو غانم نقطة حبر في الكتاب قال له أسرقت هذه؟ ! فسماه سارق العلم[14].

ومن هذه الصور الخمس يتبين لنا اهتمام إباضية المغرب باقتناء الكتب وتأليفها ونسخها وجمعها وشرائها ولو بأنفس الأثمان.

ونفس الصورة تنطابق بين أهل المشرق والمغرب في اقتناء الكتب والاهتمام بها عند إخواننا المشارقة في عمان والبصرة وزنجبار تأليفا وتنظيما ونسخا وهي تتعرض لنفس المحن التي تعرضت لها تآليف أهل المغرب إلا أن الفرق بين تأليف أهل المشرق والمغرب هو التأليف الموسوعي عند أهل المشرق أكثر من أهل المغرب.. نذكر منها:

1- كتاب محمد بن محبوب (ق3هـ) سبعون جزء.
2- كتاب الخزانة تأليف بشير بن محمد بن محبوب سبعون جزءا
3- كتاب الكفاية تأليف محمد بن موسى الكندي 51 جزءا
4- كتاب بيان الشرع تأليف محمد بن إبراهيم الكندي 72 جزءا
5- كتاب المصنف تأليف أحمد بن عبد الله الكندي 42 جزءا
6- كتاب جواهر الآثار تأليف محمد بن عبد الله بن عبيدان 26 جزءا
7- كتاب قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة تأليف الشيخ جميل بن خميس السعدي 92 جزءا
8- مكنون الخزائن وعيون المعادن تأليف موسى بن عيسى بن سعيد البشري 20 جزءا.

9- كتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين تأليف خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي 10 مجلدات

10- كتاب سلاسل الذهب في الأصول والفروع والأدب تأليف الشيخ محمد بن شامس البطاشي (ت 1420هـ) وهو نظم لشرح النيل للقطب أطفيَّش في 10 مجلدات[15] وهي تتنوع في موضوعاتها وموادها أكثر من كتابات المغرب في التاريخ واللغة والفلك والفقه والتفسير والعقيدة.

المبحث الثاني: التأليف عند المزابيين قديما وحديثا

المطلب الأول: قبل القرن العاشر الهجري 10 هـ:

أما في منطقة وادي ميزاب شمال الصحراء الجزائرية فإن أتباع المذهب الإباضي لم ينشطوا في التأليف في القرون الأولى لتأسيس قراهم الحالية والقصور التي كانت قبل القرن 5هـ أو القصور التي جاءت بعده وربما كانت موجودة ولكنها أتلفت بعوامل الزمن والفتن والغارات الخارجية.. ولعل السبب يرجع إلى الغارات والملاحقات التي كان يتعرض لها أتباع المذهب إضافة إلى الجهل والفتن الداخلية التي كانت تجتاح المنطقة..

ولم يصلنا من وثائق القرن 5 و6 و7 و8 الهجرية إلا أخبار مبثوثة في بطون الكتب الفقهية والتاريخية أو كتب اللقط والمعلقات.. وإنما الذي وصلنا منها بعض المنسوخات والتآليف المعروفة في جبل نفوسة وعمان والبصرة تتناقلها الأجيال بين خزاناتها والنسخ ليس من ملاكها المزابيين..

المطلب الثاني: بعد القرن 10 إلى القرن 13هـ

وعندما حل القرن 9 و10 الهجريين بدأت بعض طلائع التأليف تبرز في الأفق على يد مجالسها العرفية مثل مجلس باعبد الرحمن الكرثي سنة 815هـ، ومجلس عمي سعيد.

وردود مختلفة مثل:

1) الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي (ت 971هـ).

2) ومنسوخات[16] الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي الميزابي (ت:928هـ) وجواباته.

3) وقصيدة[17] الشيخ بحيو بن موسى العطفاوي في ذكر هجوم الإسبان على جربة وانهزامهم فيها سنة 916هـ.

4) وفي القرن 11هـ ظهر في الميدان الشيخ أبو القاسم بن يحي الغرداوي (ت:110هـ) بكتاب شرح الأجرومية[18]، وشرح بعض قصائد الدعائم لابن النضر العُماني وغيرها من الأجوبة.

5) ثم يأتي من بعده ابنه الشيخ حمو والحاج وهو الشيخ محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي (ت 1129هـ) وهو شيخ مجلس عمي سعيد (الهيئة الدينية العليا لحلقات العزَّابة بوادي ميزاب ووارجلان)، فكانت كتاباته كلها رسائل وأجوبة وردود إضافة إلى تقاسيم المياه تركها كتابا مفتوحا فريدا في بابه ببساتين غرداية.

6) ثم يخلفه ابنه «بابه» في نفس مناصبه ونشاطاته إلى أن توفي سنة 1207هـ.

7) وكان شاركه في الجهاد صنوه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني اليزقني الذي أضاء الله به وادي ميزاب فدرس وألف وأصلح الفساد، ونذكر من أعظم تآليفه كتاب النيل وكتاب التكميل لبعض ما أخل به النيل ولازم داره احتجاجا على الفساد إلى أن توفي سنة 1223هـ/1808م.

8) وخلفه في الجهاد تلاميذه نذكر منهم: الحاج يوسف بن حمو بن عدون اليزقني (ت1252هـ) وقد رتب لفظ أبي عزيز كما وضع مختصرا عن طهارات الديوان..

9) وكان في القرارة صنوه الشيخ بلحاج بن كاسي القراري الذي أحيا العلم في القرارة رغم الفتن والصراعات إلى أن توفي سنة 1243هـ.

10) وقبلهم كان الشيخ يحي بن صالح الأفضلي اليزقني الذي أخذ العلم من جربة عند الشيخ يوسف بن محمد المصعبي المليكي من آل ويرو.. وقد أصلح الأوضاع عن طريق التعليم وترك تآليف نذكر منها: شرح قصائد ابن زياد العماني وبعض قصائد الدعائم إلى أن توفي سنة 1202هـ..

11) وأما شيخه الشيخ يوسف بن محمد المصعبي المليكي فإنه سافر إلى جربة واستوطن هناك ولم يرجع إلى ميزاب بل اشتغل بالتدريس هناك والتأليف والدفاع عن المذهب الإباضي إلى أن توفي سنة 1187هـ وقد عده المحققون المحشي الثاني لكثرة حواشيه على كتب المذهب وغيرها..

12) وأما ابنه الشيخ محمد بن يوسف المصعبي المليكي الجربي فقد خلف والده في جميع مهامه العلمية والسياسية بجزيرة جربة وترك كتاب شرح قصيدة تحريض الطلبة للشيخ أبي نصر الملوشائي وغيرها، وقد توفي سنة 1207هـ ودفن في جربة..

13) ثم يظهر في الميدان عالم سياسي هو الشيخ إبراهيم بن بيحمان الثميني اليزقني وقد ألف بعض الرسائل والقصائد والكتب في العقيدة مع مراسلات عديدة إلى حكام عصره إلى أن توفي سنة 1232هـ.

14) وممن برز في الميدان الشيخ محمد بن سليمان بن صالح ابن ديسو اليزقني الموهوب في الشعر والنثر والتدريس رغم العمى الذي أصيب به منذ الصغر فقد ترك تآليف قيمة نذكر منها: تفسير اليمن والبركة، شرح النونية والرائية لأبي نصر.. ونظم النيل لشيخه الثميني بعنوان مسلك الذهب في الجوهر والدرر المهذب في 3030 بيتا كما شرح ألفية ابن مالك في اللغة العربية[19].

15) وهناك من يؤلف للواقع مثل الشيخ إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم العطفاوي الذي ألف قصيدة في مقاييس الجروح لأنه كان يسعى للصلح بين الناس في الفتن التي أضرت كثيرا من الأفراد والجماعات المتنازعة في سنة 1221هـ/1806م.

ويشاهد من تصفح هذه المؤلفات أنها لم تتحرر من الأسلوب القديم في التأليف وهو النظم للنثر والاختصار للمطول والشرح للنظم والحاشية على الكتب الفقهية واللغوية والعقدية.. فهي لم تبدع في الكتابة بقدر ما قامت هذه المؤلفات بجهود موفقة في تحرير الفكر وإرساء قواعد الاجتماع والصلح بين الناس.

المطلب الثالث: التأليف عند المزابيين في ق 14 و15هـ

وعندما عمت الحركة العلمية جميع العالم الإسلامي في القرن 14هـ تواصلت حركة التأليف والنشر عند علمائنا بوادي ميزاب أكثر من ذي قبل وتنوعت وتطورت بشكل ملحوظ وخاصة عندما استغلت المطبعة الآلية.

1) وكان فارس الميدان العلامة الجليل الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش الذي لم يترك فنا من فنون العلم إلا وأنجز فيه تآليف قيمة تشهد له بالقوة والتفوق خاصة موسوعته العظيمة في الفقه شرح النيل وشفاء العليل وتفاسيره القيمة آخرها تيسير التفسير ووفاء الضمانة في الحديث وجامع الشمل في حديث خير الرسل في الحديث، وشرح مقدمة التوحيد في العقيدة.. وكتاب فتح الله شرح شرح مختصر العدل والإنصاف، وكتاب ترتيب المدونة الكبرى لأبي غانم الخرساني وترتيب نوازل نفوسة، وكتاب مختصر عمارة الأرض في الهندسة وكتاب الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب. والسيرة الجامعة من المعجزات اللامعة، وكتاب تلقين التالي لآيات المتعالي في التجويد، وكتاب إيضاح الدليل إلى علم الخليل في العروض.. ومطلع الملك في فن الفلك، وتحفة الحب في أصل الطب. وكتاب شرح القلصادي في الحساب والجبر، وكتاب إيضاح المنطق في بلاد المشرق، رد الشرود إلى الحوض المورود في علم الأديان، وغيرها من الرسائل والقصائد والردود.. حتى أن الشيخ أطفيَّش اعتبر هذا العمل جهادا بديلا عن جهاد المشركين المحتلين للجزائر فقال: «ولذلك قلت أكب على التأليف إذ لم نجد لنا بنا غازيا يوما ولا من بهم نغزو[20]». ثم يقوم تلاميذه من بعده يهبون في هذه النهضة العلمية المباركة فيتنافسون في التأليف مثل:

2) الشيخ صالح بن عمر لعلي (ت 1928م) الذي ألف حواشي كثيرة حفظتها له مكتبته القيمة نذكر منها حاشية على كتاب السؤالات، وكتاب القول الوجيز في كلام الله العزيز في التفسير، ومتن قصيدة خلاصة المراقي في الفقه والعقيدة وغيرها من الرسائل العلمية والردود مما لم يطبع أكثره..

3) ومن تلاميذه الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى القراري الذي ساهم بتآليف قيمة لا يزال أغلبها محفوظا نذكر منها: ملحق السير

للشماخي.. في التاريخ والتراجم، وديوان أبي اليقظان وتاريخ صحف الجزائر العربية، وكتاب سليمان باشا الباروني.

4) **التحقيق:** وأما الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيَّش فقد تخصص في تحقيق التراث في دار الكتب المصرية، نذكر منها كتاب شرح النيل لعمه القطب أطفيَّش، وتفسير القرطبي، ونهاية الأرب للنويري، ورسالة الصوم بالتليفون والتلغراف وغيرها من الأعمال الجليلة.

5) **الصحافة:** لقد تخصص الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى أيضا في العمل الصحفي فأصدر ثمان جرائد يكافح بها الاستعمار في الجزائر والعالم الإسلامي وهي: جريدة وادي ميزاب، ثم جريدة ميزاب، ثم جريدة المغرب، ثم جريدة النور، ثم جريدة البستان، ثم جريدة النبراس، ثم جريدة الفرقان، ثم جريدة الأمة. من سنة 1926م إلى سنة 1938م..

وقد سبقه في المنفى الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيَّش بمجلته العظيمة مجلة المنهاج من القاهرة من سنة 1925 إلى 1931م. ثم مجلة الفكر الإسلامي.. ثم يقبل المشايخ والأساتذة على التأليف والتحقيق.

6) **التأليف العام:** نذكر منهم: الشيخ محمد علي دبوز بنهضته وأعلامه وتاريخ المغرب الكبير والدكتور صالح خرفي والدكتور محمد ناصر والشيخ طلاي.

7) **التأليف المدرسي:**

1- سلم الاستقامة للشيخ أبي اليقظان سلسلة فقهية للمدارس الابتدائية والثانوية.
2- والشيخ إبراهيم أدَّاود في أصول الفقه.
3- والشيخ بلحاج قشار في الفقه والدليل،
4- الشيخ طلاي الحاج إبراهيم في الدروس المختارة في الحديث
5- الشيخ محمد أرشوم الواضح في التاريخ الإسلامي
6- الدكتور محمد صالح ناصر: منهجية البحث وتحقيق النصوص
7- مؤسسة عمي سعيد: التربية الإيمانية (1 و2 و3)

المبحث الثالث: وضعنا الحاضر في التأليف

هناك في العصر الحاضر اجتهاد متنوع في العناية بالكتاب في وادي ميزاب تأليفا وحفظا ونشرا وفهرسة.

المطلب الأول بحوث منهجية:

وأما في الآونة الأخيرة فإننا نشاهد نهضة علمية فكرية موفقة في التأليف يقودها الباحثون في الجامعات من أبنائنا الطلبة في الماجستير والدكتوراه تحت إشراف «**جمعية التراث**» وغيرها التي بادرت إلى طباعة هذه البحوث المجازة في الماجستير والدكتوراه وهي بحوث منهجية قيمة متنوعة في السياسة والأدب والاجتماع والتاريخ والشريعة والقانون والعقيدة والحديث والتربية وعلم النفس والطب والبيولوجيا والاقتصاد وأصول الفقه. نذكر منها:

1) منهج الاجتهاد عند الإباضية للدكتور باجو مصطفى نشر دار الجيل الواعد
2) الفكر العقدي عند الإباضية في القرون الثلاثة الأولى للأستاذ مصطفى ابن ادريسو
3) مراحل تطور الجنين للدكتور باحمد أرفيس
4) تفسير في رحاب القرآن للشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيُّوض
5) تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن للشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش.
6) الإمامة عند الإباضية للأستاذ واعلي بكير
7) العزَّابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب للشيخ صالح سماوي
8) الفتاة في ميزاب للأستاذ بشير بن عمر مرموري
9) السخرية في الأدب الجزائري الحديث للدكتور محمد ناصر بوحجام
10) تطوير صيغ التمويل قصير الأجل للبنوك الإسلامية للدكتور سليمان ناصر
11) العمارة الإسلامية (مساجد ميزاب ومصلياته الجنائزية) للدكتور معروف بلحاج.
12) دور الصناديق الوقفية في تنمية الوقف بالجزائر، لعلواني محمد.

13) القواعد الفقهية عند الشيخ إبراهيم بيُّوض من خلال التفسير والفتاوى، لإدريس باحامد.
14) أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي للدكتور محمد باباعمي
15) آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيَّش العقدية للدكتور مصطفى وينتن
16) الغفلة في آيات القرآن الكريم للأستاذ محمد تيمزغين
17) أبو اليقظان وجهاد الكلمة للدكتور محمد ناصر
18) فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى القرآني للأستاذ محمد جهلان
19) الدكتور عبد العزيز خواجة مبادئ التنشئة الاجتماعية
20) الدكتور إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية

المطلب الثاني مؤلفون عصاميون:

وهناك مؤلفون أحرار قدموا تآليف مفيدة، نذكر منهم:

1) الحاج سعيد يوسف بن بكير؛ كتب: تاريخ بني ميزاب، وغيره...
2) الشيخ أحمد بن عمر أوبكة؛ في الفقه الميسر، وغيره...
3) الأستاذ أعوشت بكير؛ دراسات إسلامية في أصول الإباضية وغيرها.
4) الشاعر مفدي زكرياء؛ أضواء على ميزاب وغيرها.
5) الشيخ سليمان بن داود بن يوسف؛ الخوارج هم أنصار الإمام علي
6) أحمد كروم مع أعوشت بكير؛ مسلمات صالحات في روضة الإيمان.
7) إبراهيم بن علي بولرواح؛ موسوعة آثار الإمام جابر بن زيد الفقهية
8) الأستاذ يحي بكوش؛ كتاب فقه الإمام جابر بن زيد
9) الشيخ مطهري الحاج محمد؛ كتاب فتح المغيث في علوم الحديث
10) الشيخ عيسى حمو النوري؛ دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا.
11) الشيخ الحاج بكير أرشوم؛ كتاب الحقوق المتبادلة في الإسلام وغيرها.
12) محمد الشيخ بلحاج؛ الاستثمار واقتصاد السوق وغيرها.
13) الأستاذ صالح ترشين؛ سلسلة الأسفار المحترقة 5 أجزاء، وكتب أخرى...

المطلب الثالث: محققون جادون

كما وجد في الساحة الحاضرة أساتذة ومشايخ أنجزوا تحقيقات جد مفيدة في مختلف مواضيع التراث الإسلامي نذكر منها:

1) شرح النيل وشفاء العليل للشيخ محمد بن يوسف أطفيَّش تحقيق أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش.
2) كتاب الوضع للشيخ أبي زكرياء الجناوني، تحقيق إبراهيم أطفيَّش
3) كتاب طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني، تحقيق الشيخ إبراهيم طلاي.
4) كتاب الرسالة المحمدية للثعالبي، للدكتور صالح خرفي
5) كتاب تيسير التفسير للشيخ أطفيَّش، تحقيق الشيخ إبراهيم طلاي
6) كتاب فتاوى الشيخ بيُّوض، تحقيق الحاج بكير الشيخ بلحاج
7) كتاب القسمة وأصول الأراضين، للشيخ أبي العباس الفرسطائي، تحقيق الحاج بكير الشيخ بلحاج مع د. محمد ناصر
8) كتاب أصول الدينونة الصافية للشيخ عمروس، تحقيق الحاج أحمد حمو كروم
9) كتاب أخبار الأئمة الرستميين، لابن الصغير تحقيق د.إبراهيم بحاز، د. محمد ناصر
10) كتاب معارج الآمال، تحقيق الأستاذ سليمان بن إبراهيم بابزيز.
11) سلسلة رحلات حجازية، تحقيق د. يحيى بن بهون حاج امحمد.
12) كتب غصن البان في تاريخ وارجلان للشيخ إبراهيم أعزام، تحقيق سليمان بومعقل.
13) كتاب سير الوسياني، تحقيق د. بوعصبانة عمر بن حمو.

المطلب الرابع: التسجيل الصوتي

هذه دروس قيمة بثها المشايخ بمختلف مساجد وادي ميزاب، وقد تدرجوا في وسائل التسجيل الصوتي، ويأتي في مقدمتها دروس الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيُّوض في التفسير؛ وهي الآن تصدر كُتباً قيّمة بعنوان "في رحاب القرآن"، نقلها بعض تلاميذه من الأشرطة إلى التحرير الورقي. وكذلك

سلسلة "في رحاب السنة" وهي دروس للشيخ الناصر المرموري في الحديث النبوي.

المطلب الخامس الأقراص المدمجة:

1- منها ما يصدر بعد تسجيل الدرس في المسجد صوتا وصورة أو تسجيلاً صوتياً ليسهل اقتناؤها وتخزينها؛ وقد أصبحت الآن توزع مباشرة عبر الإنترنت للاتصال بجميع العالم؛ وقد أخذ الريادة في هذا المجال مسجد الغفران ثم تلته مساجد كثيرة عبر وادي ميزاب.
2- منها ما هو عبارة عن محاضرات في مناسبات مختلفة أو حفلات أو أناشيد ملتزمة، وقد توسعت لتشمل هذه الأقراص مختلف الأنشطة كالمسرحيات الاجتماعية الهادفة لإصلاح المجتمع.
3- منها ما هو عبارة مكتبات إلكترونية، على غرار "المكتبة الإباضية الشاملة"، تأليف شريفي مصطفى؛ نشر جمعية التراث، وهي في تطوير مستمر.
4- ظهور بعض البرامج التعليمية بالفيديو، كتعليم الصلاة للناشئة صوتاً وصورة.
5- صدرت بعض المجموعات الصوتية والبصرية المتكاملة، كتفسير الشيخ محمد سعيد كعباش، وتفسير الشيخ أيوب صدقي...

المطلب السادس أشرطة الفيديو:

من تسجيل لقاءات مع كافة العلماء والعامة والمجاهدين لجمع تاريخهم الشفوي في جمعية أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش لخدمة التراث ومختلف العشائر وبعض المدارس.

المطلب السابع الإنترنت:

وقد ظهرت مواقع الكترونية مثل "فيكوس" للدكتور محمد باباعمي.
- وموقع معهد المناهج للإعلام والتثقيف.
- وموقع إروان لمؤسسة الشيخ عمي سعيد.
- وموقع جمعية التراث، وغيرها

المطلب الثامن: المجلات:

هناك مجلات مثل:
- مجلة الحياة لجمعية الحياة والتراث بالقرارة.
- مجلة الهدى لطلبة قسنطينة.
- مجلة المنهاج لجمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيَّش لخدمة التراث بغرداية.

المطلب التاسع: أعمال موسوعية جماعية:

1) معجم أعلام الإباضية
2) معجم المصطلحات الإباضية
3) معجم تآليف علماء الإباضية
4) فهارس مخطوطات مكتبات وادي ميزاب مجلدات وأقراص
5) تصوير المخطوطات بالميكروفيلم والرقمي.

المطلب العاشر: أعمال ملتقيات وأيام دراسية:

1) ملتقى الشيخ بيوب سنة 2000م
2) ملتقى الشيخ عدون سنة 2009م
3) ملتقى الشيخ صالح بزملال سنة 2000م
4) ملتقى الشيخ أبي اليقظان سنة 2003م
5) ملتقى الشيخ البكري سنة 2002م
6) ملتقى الشيخ عمر أداود الورجلاني سنة 2000.
7) ملتقى الدكتور صالح خرفي سنة 2004م
8) ملتقى الشيخ أطفيَّش سنة 2014م
9) ملتقى الشيخ أبي إسحاق سنة 2010م

المطلب الحادي عشر : الكتابة في الصحافة والإعلام:

10) المساهمة الفردية للكتاب والأدباء والمبدعين في الجرائد الوطنية والدولية
11) المساهمة في القنوات الوطنية من خلال التنشيط والمشاركة.
12) المساهمة في المجلات الجادة العالمية والوطنية

المطلب الثاني عشر: جمعيات للكتاب والتراث:

- جمعية أبي إسحاق إبراهيم أطفيّش لخدمة التراث - غرداية.
- جمعية التراث القرارة
- مؤسسة الشيخ عمي سعيد - غرداية

المطلب الثالث عشر: المكتبـات:

مكتبة السلف مليكة العليا	مكتبة الشيخ عمي سعيد غرداية
مكتبة الصفا بريان	مكتبة الشيخ أطفيّش بني يزقن
مكتبة الشيخ صالح لعلي بني يزقن	مكتبة الاستقامة بني يزقن
مكتبة إروان غرداية	مكتبة إروان العطف
مكتبة معهد الحياة القرارة	مكتبة الشيخ بلحاج القرارة
مكتبة الحاج سعيد بن أيوب غرداية	مكتبة الشيخ قشار بنورة
مكتبة البكري العطف	مكتبة جمعية الإصلاح غرداية.

المطلب الرابع عشر: المطـابع:

المطبعة العربية غرداية	دار نزهة الألباب غرداية.
مطبعة الواحات غرداية	دار ناصر للنشر الجزائر.
مطبعة تيهرت غرداية	المطبعة العالمية غرداية.
مطبعة الآفاق غرداية	مطبعة تقنية الألوان الجزائر وغيرها.

واجبنا نحو هذه التأليف:

1) مواصلة التوعية في حقوق الكتاب.
2) مواصلة التحقيق
3) مواصلة البحث والدراسة
4) مواصلة التأليف
5) مواصلة التسجيل
6) مواصلة التنسيق بين الجمعيات

7) مواصلة المطالعة والطباعة.
8) مواصلة الفهرسة والتصوير
9) مواصلة جمع الكتب والمحافظة عليها بعيدا عن المتلفات، خاصة وأن واد المساح في 01 أكتوبر 2008 قد أتلف عددا ضخما من المكتبات تجمع آلاف المطبوعات وآلاف الوثائق والمخطوطات.
10) إنشاء محطة لترميم المخطوطات وتجليد الكتب.

وهذا الاهتمام البالغ بالكتاب وجميع ما يخدمه دليل على ارتفاع المستوى الحضاري في المنطقة، نرجو الله أن يوفق لمزيد من ذلك في المستقبل ويبعد عن المنطقة فتن إتلاف الكتاب.

إحالات الدراسة:

(1) . ابن منظور: لسان العرب : مادة الكتب
(2) . شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ج2 ص 1733
(3) . شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ج2 ص 1152
(4) . شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية ص 446 – 448 / د محمد عجاج الخطيب : لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص 39 وما بعدها.
(5) . شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ج 2 ص 144
(6) . الدرجيني: الطبقات ج1 ص 80 - 81
(7) . جمعية عمي سعيد: فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ لعلي ج 1 رقم 0318 / 0319 / 0320
(8) . أبي غانم: شرح المدونة للقطب أطفيَّش تحقيق د. مصطفى باجو ج 1 ص 41
(9) . بولرواح: موسوعة آثار الإمام جابر ج 1 ص 18
(10) . الدرجيني: طبقات المشايخ ج 1 ص 55
(11) . أبو عمار عبد الكافي: كتاب الموجز ج 2 ص 289
(12) . أبو عمار الوارجلاني : الموجز ملحق كتب المذهب للبرادي ج 2 ص 287
(13) . الدرجيني : الطبقات ج 1 ص 95

=

=

(14) . الدرجيني: الطبقات ج 1 ص 138

(15) . د. موسى بن الناصر الفرجي والأستاذ خلفان الحجي: الإنتاج الفكري العماني ط1 وزارة التراث العماني 2006

(16) . انظر فهرس المخطوطات الشيخ عمي سعيد الجربي إنجاز جمعية التراث 1415/ 1994

(17) . النوري: دور الميزابيين قديما وحديثا ج 1 ص 224

(18) . جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية ج 4 رقم 75

(19) . انظر جميع تراجم هذه الشخصيات في معجم أعلام الإباضية إنجاز جمعية التراث القرارة 1999/1419

(20) . القطب أطفيّش: تيسيير التفسير ج 5 ص 340.